خطبة أهمية استقرار الأسرة.

الجمعة

١٤٤٦/٣/٢٤

الحمدُ لله الذي خَلَقَ من الماءِ بَشَرًا فَجعَلَهُ نَسَبًا وصهرًا؛ جعل الزِّواجَ مودَّةً ورحمةً وبِرًّا، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، لَه الأسماءُ الحسنى والصِّفاتُ العليا، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، خيرُ زوجٍ لزوجه، وأفضل معين لرفيقه، صلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آله وأصحابِه ومن اهتدى بهديهِ إلى يوم الدِّينِ.

أمَّا بعدُ: فاتَّقوا اللهَ -عبادَ اللهِ- حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى طريقُ الهدى، وسبيل الرشاد، والمتقون هم أقرب لاتِّباع الشرع، وهدي خير العباد.

عباد الله/

إنّ أعظم ما رعاه الإسلام، وأولاه عناية فائقة، أمر الأسرة وشأن البيوت.

ذلك أنّ للأسرة واستقرارها الأثر الكبير في استقرار المجتمع، وسعادة النفوس، بل إنّه ليمتدُّ أثره على صاحبه حتى في شأن إحسان العبادة، فالمرء إذا كان مستقرًا في أسرته، مطمئنًا في بيته كان ذلك سببًا في حضور قلبه في عبادته لربه، وطمأنينته فيها.

وإذا تأملنا في تعاليم الإسلام وجدنا اهتمامًا كبيرًا في هذا الشأن.

يظهر هذا بأمورٍ، أوّلها التنويه إلى أنّ الزواج من سُنن المرسلين، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} [الرعد: ٣٨]

وفي هذا إشارةً إلا أنّه لا ينبغي للعبد أن يترك هذه السُنّة الشرعية الكونية، وجاءت أحاديثُ النبي صلى الله عليه وسلم في التأكيد على هذه السُنّة بقوله -عليه الصلاة والسلام-: "وأتزوَّجُ النِّساءَ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي" رواه البخاري.

فالزواجُ سُنّةٌ وطريقةٌ لا ينبغي تركها حتى لا يفوت على العبد مصالحها الكبيرة.

وجاءت التوجيهات الربانية للأسرة لتجعل أتباعه يحيون حياة طيبة، فالزواجُ فطرةٌ إنسانيةٌ لا يستغني عنها الإنسان، ولذا لمّا تركت المجتمعات الكافرة هذه السُنّة اتّجهوا إلى ما أفسد عليهم حياتهم، فترحّلت عنهم الطمأنينة والسكينة والراحة، وحلّت محلها المصائب والمشاكل سواءً في خاصّة أنفسِهم أو في أولادهم، ولكن انظر إلى الاستقرّار الذي عليه المجتمعات المسلمة الذين اتّبعوا شرع الله في هذا الباب لتعلم بعظيم أثر تعاليمه.

أيّها المسلمين/

لقد جاءت النصوصُ من الكتاب والسُنّة موضحةً السبيل لاستقرار الأسر، وموصلةً إلى الحياة الهانئة داخل البيوت، ولعلي أن أُجمل -هنا- بعض الوصايا في هذا الباب لنبلغ هذا المقصد النبيل الذي يحتاجه كلُّ زوجين في حياتهم الزوجية.

أوّل هذه الوصايا: استحضار النيةً الحسنةً في شأن الزواج، فينوي الرجلُ نوايا حسنة قبل زواجه، وعند معاشرته لأهل بيته.

واستحضار هذه النوايا يجعله يحيا حياةً طيبةً، متحمّلًا كل صعوبة يلقاها فيه ممّا لا بد منه في الحياة الزوجية، ومحتسبًا كل فعلٍ يفعله في بيته ومع زوجه وأولاده.

ولك أن تُقارن بين رجلين، أحدهما يحتسب في كلِّ شؤون زواجه، فيحتسب فيه اتِّباع الشرع، وإنجاب الأبناء لتبقى له ذريةً طيبةً تعبد الله في حياته وبعد مماته، ويحتسب في نفقته وتربيته وإحسانه لزوجه ولولده.

وبين رجل لا يخطر بباله مثل هذه النوايا، فكيف سيكون البون بينهم شاسعًا في النظر إلى الحياة الزوجية.

وثاني الوصايا: مراقبة الله في التعامل مع أهل بيته، فيُراقب الله في رعايتهم وتربيتهم، والتعامل معهم، ومثل هذا تجده قد علّق قلبَه بربه يرجو التوفيق والإعانة منه لتُحيط به الرعاية والمعونة.

وثالث الوصايا لمن يروم سعادةً في بيته: التحلّى بحُسن الخلق، وحُسن الخلق مع أهل البيت، هو الخلق الصادق لأنّه قد يكون مع الآخرين تصّنعًا أمّا مع أهل البيت فلكثرة معاشرتهم يظهر معدن الرجل، ولذا نوّه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المنقبة، فقال عليه الصلاة والسلام: "خيرُكُم خَيرُكُم لأَهْلِهِ وأَنا خيرُكُم لأَهْلي" رواه الترمذي.

فانظر كيف يرغّب النّبيُ صلى الله عليه وسلم في حُسنِ الخلق مع الأهل، فجعل خير الأمّة خيرهم لأهله ثمّ نوّه أنه -عليه الصلاة والسلام- خير النّاس ليُتأسّى به من طلب الخير لنفسه.

وهذا الخلق يشمل حسن التخاطب معهم، وجميل التعامل، وتحمّل الهفوات، والرضا باليسير منهم، وعدم التدقيق على الصغير والكبير في العشرة، وغض الطرف عن التقصير ما لم يكن في دين أو خلق واجب، والنظر إلى المحاسن، وترك المعائب التي لا يكاد يسلم منها لا زوج لا زوجة، ولذا رسم لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهجًا رفيعًا في بيت الزوجية مَنْ أخذ به عاش بخير، واستقرّ بيته، واستمر هذا البناء، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "لا يفرَك مؤمنٌ مؤمنةً إن سخِطَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ" رواه مسلم.

فكل زوجٍ وزوجة فيه محاسن، وعنده معائب، والتوجيه منه -هنا- عليه الصلاة والسلام بأن يتحمّلَ الآخر المعائب لوجود المحاسن في الطرف الآخر.

إنّ تعامل الزوجين بهذا الميزان يجعل بيتهم مستمرًا -في الغالب- مُستقرًا بإذن الله تعالى، أمّا طلب الكمال، والمبالغة في عدم وجود النقص، فهو طلبٌ للمحال، وسعيًا لإدراك ما لايمكن إدراكه.

ألا ما أعظمه من توجيه يحوي منهج حياة لأعظم قضايا المرء في حياته، فصلواتُ الله على من أوتي جوامع الكلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا خير أمّة أخرجت للأنام، وبعد/

أيّها المسلمون

إنّ من الأهمية بمكان أن يُراعي ربُّ الأسرة المصالح التي مِنْ شأنها تعين على استقرار البيت، فاستقراره استقرار لأغلى ما يملك المرء وهم الأبناء والبنات، وتقديم مصالحهم لا يعدله شيء، وقد تحدثُ خصومات طبيعية في البيوت، فلا يتردّدُ بعض الأزواج عن هدم البيت لأسباب تافه، ولا تخلو كما تعلمون البيوت من المشاكل والاختلافات خصوصا في أزمنتنا هذه لأسباب كثيرة، فلا يظنّ الزوج إذا رأى من زوجته مخالفةً، أو ردًا عليه معقولًا، أو إعجابًا برأي لها أنّ غيرها أفضل منها، فيتسرّع في طلاقها، فهذا من سوء التفكير، ومن تلبيس إبليس على كثير من الأزواج، فلذا كان لزامًا على الرجل الصبر والتحمّل، وإصلاح كل معوّج بطرق سليمة، وبسعة بال طويل، وصبر جميل، رغبةً في استمرار هذا البيت.

وعلى الزوجين المصارحة عند وجود الأخطاء، والوصول إلى العلاج الناجع، والتنازل من كل واحد منهما، لأنّ المقصود الأعظم هو استمرار هذا البناء، وليستحضرا أنّ بيتهم سكنًا كما وصفه الله: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} [النحل:٨٠] فيجعلاه سكنًا فعلًا بالتفاهم والتعاون والصبر والتحمّل والمحبة والألفة.

ولنعلم يقينًا أنّ هدم البيت سيكون أول من يصطلي بناره هما الزوج والزوجة معًا ثم الأبناء، فلذا كان الحفاظ عليه مسؤولية عظمى لا يرعاها ويحرص عليها إلا العقلاء.

ولنوقن -أيضًا- أنّ الشيطان يسعى جاهدًا لهذا الهدم لعلمه بآثاره الوخيمة، فالله الله برعاية هذا السكن، واللهَ اللهَ في الحفاظ على هذا البناء الذي سيجني الزوجان من ورائه خيرًا كثيرًا.

صلوا على خير الأزواج لأزواجهم، وأوفاهم لأهله فقد أمركم الله بذلك قال الله تعالى: {{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}